المحاضرة العاشرة: الصحافة الإستعمارية

تبوأت الصحافة مكانة استراتيجية في المشروع الاستعماري الفرنسي بالجزائر منذ اللحظات الأولى للغزو، إذ لم تكتفِ الإدارة العسكرية بالقوة المسلحة، بل اصطحبت معها أدوات "القوة الناعمة" ممثلة في المطبعة العسكرية لإصدار منشورات تواكب التحركات الميدانية. وقد تطور هذا المشهد الإعلامي لاحقاً ليتشكل ضمن منظومة دعائية متكاملة، تنوعت بين صحف رسمية ناطقة باسم الحاكم العام، وصحف استيطانية تخدم مصالح المعمرين، وأخرى عسكرية أو تبشيرية. مثّلت هذه الوسائل الإعلامية أداة لفرض الهيمنة الثقافية والسياسية، ومحاولة توجيه الرأي العام بما يخدم استمرارية الوجود الفرنسي في الجزائر، مما جعل من دراسة تصنيفاتها مدخلاً أساسياً لفهم آليات الاشتغال الاستعماري في المجال المعرفي والإعلامي.

1. ظروف نشأة الصحافة الإستعمارية في الجزائر

تعد الصحافة الإستعمارية أداة دعائية استراتيجية مارستها الدول الأوروبية في مستعمراتها لتعزيز السيطرة الإدارية والإيديولوجية، حيث أصدرت السلطات الإستعمارية جرائد رسمية واستيطانية لتبرير الإحتلال، فالدراسات التي أجريت حتى اليوم **تثبت " أن الصحافة كوسيلة إعلامية عصرية لم تكن موجودة في الجزائر قبل سنة 1830 م ... كما أن هذه الصحافة لم تكن موجودة كذلك في العالم العربي إذا استثنينا جريدة الوقائع المصرية التي أصدرها في القاهرة محمد علي سنة 1828م باللغة العربية والتركية"** [1]، وقد أدرك الاحتلال الفرنسي التأثير البالغ للصحافة على الشعوب، فسعى جاهدًا إلى استغلالها لتعزيز وترسيخ وجوده في الجزائر.

رافقت الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر عام **1830** مطبعة عسكرية خاصةكان هدفها الأساسي إصدار منشورات وجريدة لضمان التواصل الداخلي بين وحدات الجيش وخدماته الإدارية.

- **اسم الصحيفة وتاريخ الصدور** :حملت الجريدة اسم"**L'Estafette de Sidi–Ferrdj 1830**" بريد سيدي فرج)، وبدأ إصدارها فور نزول القوات الفرنسية على شاطئ سيدي فرج.
- **اللغة والإشراف** :صدرت الجريدة باللغة الفرنسية تحت إشراف ضابط من الجيش الفرنسي.
- **المحتوى والتوزيع** :اقتصر محتواها على تغطية أخبار الحملة العسكرية في الجزائر وبعض المستجدات السياسية الفرنسية، ووزعت حصراً على الجنود والمصالح الإدارية المعنية بالعمليات الحربية.
- **الانتشار والتأثير** :نظراً لطبيعتها العسكرية وجمهورها المستهدف المحدد، لم تحقق الجريدة انتشاراً واسعاً ولم يستمر صدورها لفترة طويلة، إذ كانت مرتبطة بشكل وثيق بظروف الحملة العسكرية الأولية.[2]

---

[1] زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ط2، 2012م، ص 25.

[2] ينظر: أحميدة عميراوي، الملتقيات التاريخية، دار البعث، قسنطينة، 2000، ص139 ص 140.

L'Estafette de Sidi–Ferrdj

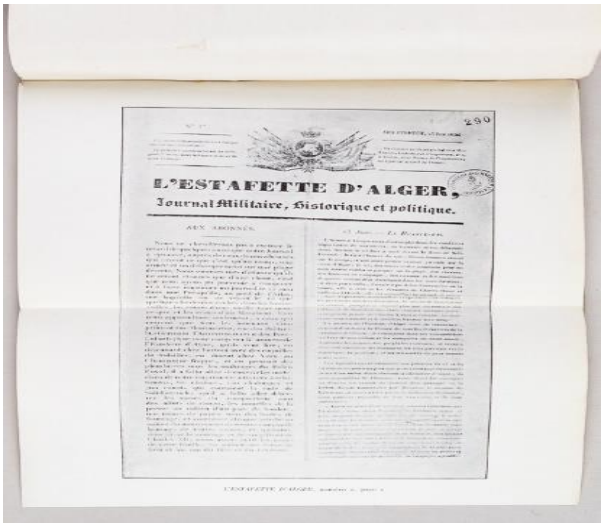

والجدير بالذكر أن علاقة الشعب الجزائري بالصحافة الاستعمارية إتسمت في مهدها بنوع من القطيعة والرفض الضمني، حيث لم تجد تلك المنشورات صدىً لدى عامة الجزائريين الذين نأوا بأنفسهم عن متابعتها. ويعود هذا العزوف إلى جملة من الأسباب الموضوعية أبرزها الحاجز اللغوي " **فقد صيغت تلك الصحف بلغة فرنسية كان يجهلها الشعب، ولم تكن مفاهيمها مفهومة إلا لفئة محدودة جداً من الأفراد. علاوة على ذلك انحصرت اهتماماتها في شؤون الغزاة ومصالحهم، مكرسةً صفحاتها لأخبار الإدارة والجيش والمستوطنين** "[1]، بعيداً عن تطلعات ومآسي أصحاب الأرض وبصورة أشمل، أدرك الجزائريون أن هذه الصحافة لم تكن سوى سلاح دعائي يخدم أجندة المحتل الغاشم، ولا يمت بصلة لمصالح الجزائر كوطن وشعب. وعليه فإن هذا الصدود الشعبي المبكر مثّل أولى صور المقاومة الثقافية، ممهداً الطريق لظهور صحافة وطنية لاحقاً تعبر بصدق عن هوية الجزائر ومعاناتها.

2. تصنيفات الصحافة الإستعمارية في الجزائر

تعددت المقاربات التاريخية في رصد وتحليل المشهد الإعلامي خلال الحقبة الاستعمارية بالجزائر، حيث ذهب المؤرخون والباحثون في تاريخ الإعلام إلى وضع تصنيفات متباينة للصحافة التي ظهرت آنذاك بناءً على معايير متعددة. فبينما اعتمد البعض في تصنيفه على **الجهة المصدرة** (حكومية، عسكرية، أو خاصة)، ركز آخرون على **الأيديولوجيا والجمهور المستهدف** (استيطانية، أو كولونيالية، أو تبشيرية...). هذا التنوع في التصنيفات يعكس بدقة تعقد البنية الاستعمارية، حيث لم يكن الإعلام مجرد وسيلة إخبارية موحدة بل كان منظومة موزعة الأدوار تهدف في مجملها إلى تثبيت دعائم الاحتلال وتبرير وجوده عبر قنوات إعلامية تخصصت كل واحدة منها في مخاطبة فئة معينة وخدمة هدف استراتيجي محدد.

1.2 الصحافة الحكومية الرسمية:

تعرف في الجزائر بأنها تلك المنشورات التي خضعت للإشراف المباشر من قبل الإدارة الفرنسية حيث أنشأت لتكون أداة تواصل وتوجيه سياسي وقانوني مباشر وانحصرت وظيفتها الأساسية في نشر القرارات الرسمية والمراسيم الإدارية مع محاولة

[1] الزبير سيف الإسلام، رواد الصحافة الجزائرية، مطابع دار الشعب، القاهرة، ط1، 1981، ص10.

تجميل صورة الإحتلال أمام الرأي العام، وقد تميز هذا النوع من الصحف ب:" **صدورها باللغة الفرنسية ثم أدمجت معها العربية بأسلوب ركيك، كما واتصفت بكونها دعائية للإدارة الفرنسية والجيش الفرنسي وداعمة لقوانين وقرارات الإستعمار المسلطة على الجزائريين**" [1]، وعليهيتضح أن هذا النوع من الصحافة لم يكن يهدف إطلاقاً إلى التعبير عن آمال الشعب الجزائري أو نقل واقعه المعيشي، بل كان مجرد ذراع إعلامي مسخّر كلياً لخدمة أجندة استعمارية بحتة، تحوّل فيها "الخبر" إلى "دعاية" واللغة إلى أداة تهميش.

1.1.2 جريدة المرشد الجزائري (1832/ 1871) وهي الجريدة التي وعد الفرنسيون " **بأنها ستحرر باللغتين العربية والفرنسية، الحقيقة أن هذه الجريدة ما هي إلا صحيفة حكومية** " [2]، وتعد إحدى أبرز الأدوات الإعلامية الاستعمارية المبكرة التي هدفت إلى تنظيم الوجود الفرنسي في الجزائر وتوجيه الوافدين الجدد. فعلى نقيض الصحف الوطنية كانت هذه الجريدة بمثابة "دليل توجيهي" للمستوطنين الجدد، حيث تخصصت في تقديم معلومات جغرافية، إحصائية، وتاريخية عن مختلف المناطق والمقاطعات الجزائرية لتسهيل عملية الاستيطان. وقد لعبت دوراً محورياً في دعم البنية الإدارية والقانونية للاحتلال عبر نشر البيانات المتعلقة بالأراضي والممتلكات المصادرة، مما جعلها وسيلة إعلامية وظيفية تخدم "المجتمع الاستيطاني" وتعزز من هيمنة الإدارة الفرنسية على المقدرات المحلية في بدايات العهد الاستعماري .

2.1.2 جريدة المبشر (1847/ 1927) : تأسست سنة 1847 بمبادرة من " **السلطات الفرنسية الإستعمارية في الجزائر بقرار ملكي من الملك لويس فيليب**" [3]، وتمثل محطة تاريخية مهمة في تطور الصحافة الجزائرية والعربية فهي تعتبر أول جريدة باللغة العربية بالكامل تصدر في الجزائر والعالم العربي وهي ثاني جريدة عربية في العالم بعد " جريدة الوقائع المصرية".

شهد مسار جريدة **المبشر** تطوراً لافتاً عبر مرحلتين أساسيتين؛ ففي المرحلة الأولى التي امتدت لنحو عشر سنوات، اقتصرت وظيفتها على كونها نشرة إدارية جافة تُعنى بإيصال المراسيم والقوانين الاستعمارية إلى السكان. أما المرحلة الثانية، فقد مثلت نقلة نوعية في توجهها، إذ تحولت إلى منبر ذي أبعاد ثقافية وأدبية واضحة بعد أن عُهد برئاسة تحريرها إلى نخبة من المثقفين الجزائريين، أمثال **الشيخ الحفناوي وبن خوجة** .بفضل هذا التحول، انفتحت صفحات الجريدة على موضوعات الفلسفة والتاريخ والأدب باللغة العربية، مما أكسبها رواجاً نسبياً بين أوساط المثقفين الجزائريين في أواخر القرن التاسع عشر. وقد تزامن هذا الانفتاح مع استراتيجية استعمارية جديدة حاولت التقرب من النخبة المسلمة واستغلال الأقلام الجزائرية لنشر جوانب من الحضارة الإسلامية، في محاولة لاحتواء الوعي الوطني وتوجيهه بما يخدم التهدئة الاستعمارية[4].

---

[1] محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية – نشأتها تطورها أعلامها 1830-1931، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص41.

[2] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007م، ص12.

[3] أحسن تيلاني، جريدة النجاح حقيقتها ودورها، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 16.

[4] ينظر: فتيحة بوغازي، تصنيف الصحافة الإستعمارية في الجزائر، مجلة أفكار وآفاق، مج 11، ع 1، 2023، ص 54.

2.2 صحافة المستوطنين:

تُشكل **صحافة المستوطنين** أو الصحافة الكولونيالية الجناح الأكثر تطرفاً ونفوذاً في المشهد الإعلامي للجزائر المستعمرة، حيث انبثقت من صلب المجتمع الأوروبي الوافد لتعبر عن طموحاته وتطلعاته الاستيطانية بعيداً عن الرقابة المباشرة للإدارة الرسمية ومن أشهر الصحف الخاصة بالمستوطنين نذكر:

1.2.2 صحيفة الأخبار (1839/ 1934) تُعد واحدة من أقدم وأهم الركائز الإعلامية في تاريخ الصحافة الاستعمارية بالجزائر، بدأت مسيرتها كدورية نصف أسبوعية لتتحول لاحقاً إلى جريدة يومية، مشكلةً بذلك مرجعاً أساسياً للمجتمع الاستيطاني الناشئ آنذاك. تميزت الصحيفة بكونها لسان حال "التيار الليبرالي الاستعماري"، حيث سعت إلى الموازنة بين الدفاع الشرس عن مصالح المعمرين في الاستيلاء على الأراضي وبين الترويج لسياسة الإدماج الإداري، كما اعتمدت في بعض مراحلها على اللغة العربية إلى جانب الفرنسية لتوسيع نطاق تأثيرها الدعائي ليشمل الأعيان والجزائريين الموالين للإدارة الفرنسية. وبصفتها "عميدة الصحف" في تلك الحقبة، لم يقتصر دورها على نقل الأخبار، بل كانت أداة اقتصادية وإدارية فاعلة عبر نشر الإعلانات القضائية وعقود المبادلات التجارية، مما جعلها توثق بشكل دقيق مراحل ترسيخ الهيمنة الفرنسية وتحولها من الطابع العسكري الصرف إلى الإدارة المدنية المستقرة طيلة القرن التاسع عشر.

2.2.2 صدى وهران (1844/ 1963) : تأسست جريدة (**L'Écho d'Oran**)في مدينة وهران على يد أسرة «**Perrier**»، وهي عائلة من كبار أرباب المصالح والمستوطنين، وصدر عددها الأول يوم السبت **12أكتوبر 1844** بعد نيل ترخيص رسمي من الحاكم العام للجزائر. في بداياتها، اتخذت الجريدة طابعاً نفعياً تقنياً، حيث عرّفت نفسها أسفل عنوانها الرئيسي بأنها **'جريدة الإعلانات القضائية والإدارية والتجارية'**، مكرسةً صفحاتها لخدمة الاقتصاد الاستيطاني الناشئ وتنظيم المعاملات القانونية للمعمرين في الغرب الجزائري. ومع مرور العقود تحولت من مجرد نشرة إعلانية إلى عملاق إعلامي يومي يمتلك إمكانيات تقنية متطورة ومطابع حديثة، لتصبح لسان حال "اللوبي" الاستيطاني المدافع بشراسة عن بقاء الجزائر فرنسية[1].

وعند اندلاع الثورة التحريرية الكبرى (1954-1962) ، شهد الخطاب الإعلامي للجريدة تحولاً جذرياً؛ حيث تخلت عن دورها الإعلاني الهادئ لتتحول إلى جبهة للدعاية الحربية، ركزت خلالها على تغطية العمليات العسكرية من وجهة نظر استعمارية، محاولةً تشويه الكفاح المسلح وتعبئة الرأي العام الأوروبي ضد جبهة التحرير الوطني. وظلت هذه الجريدة وفية لخطها المتشدد حتى لحظات الاستقلال، لتمثل بذلك أحد أطول المنابر الإعلامية عمراً وأكثرها تأثيراً في صياغة الفكر الكولونيالي بالجزائر.

---

[1] ينظر: مولاي حليمة، النشاط الثوري في الجنوب الجزائري من خلال جريدتي Lécho d oran Oran républicain، مجلة قضايا تاريخية، ع 03، 2016م، ص121.

3.2.2 البرقية الجزائرية (1884/ 1963) (La dépéche algérienne) هي صحيفة يومية استعمارية **"فرنسية اللسان تأسست بمدينة الجزائر عام 1884م"**[1]، على يد" **إيميل موستن Emule Muston** االذي كاين يدير وكالة هافاس للأنباء " [2]، تميزت هذه الصحيفة بانتشارها الواسع وقدرتها على التأثير في الرأي العام الأوروبي، حيث كانت تدافع بلا هوادة عن مصالح "الجزائر الفرنسية" وتعارض بشدة أي إصلاحات سياسية قد تعود بالنفع على الجزائريين الأصليين. ولم يقتصر دورها على نشر الأخبار اليومية، بل كانت أداة تحريض سياسي مارست ضغطاً كبيراً على الإدارة الفرنسية نفسها، وساهمت في تغطية أحداث المقاومة الوطنية بنبرة استعمارية متشددة.

وصفوة القول أن المشهد الصحفي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية لم يكن وليد الصدفة، بل كان نتاج تخطيط دقيق، إذ لم تكن تلك الصحف مجرد وسيلة لنقل الأخبار، بل كانت أدوات وظيفية متعددة الأغراض لخدمة أهداف الاحتلال. لقد تنوعت بنيتها بين ما هو حكومي رسمي يهدف إلى التوجيه الإداري والقانوني، وما هو استيطاني شرس يدافع عن مصالح المعمرين بقوة وضراوة. هذا التنوع في التصنيفات عكس الطبيعة الشمولية للمشروع الاستعماري الذي حاول السيطرة على الأرض والإنسان والوعي الجمعي معاً، وفي مواجهة هذا السيل من الدعاية والهيمنة الإعلامية وُلدت الحاجة الماسة لصحافة وطنية جزائرية خالصة، شكلت في نهاية المطاف سلاحاً موازياً في معركة التحرير.

---

[1] الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج03، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص58.

[2] عبد السلام عكاش، نظرة الصحافة الإستعمارية لإنتفاضة 08 ماي1945، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 114.